الفكر السرياني عند اليعاقبة في القرن الحادي عشر
دراسة وتحليل لكتاب علي بن داود الأرفادي
(اجتماع الأمانة وعنصر الديانة) أُنموذجاً

م. محمد مجيد حميد بلال
وزارة التربية/المديرية العامة للتربية محافظة النجف الأشرف

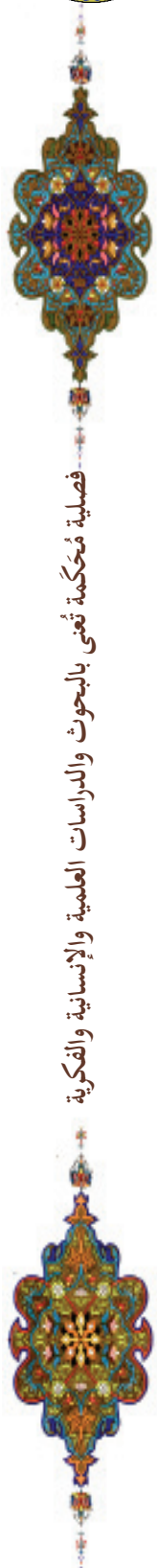

المستخلص:
يعد الفكر السرياني اليعقوبي من أهم روافد الفكر المسيحي الشرقي، حيث يمتاز بعمقه اللاهوتي وثرائه الفلسفي، وقد تطور عبر قرون عديدة في بيئة ثقافية متنوعة، متأثرًا بالتراث اليوناني القديم من جهة، ومتفاعلًا مع الفكر الإسلامي من جهة أخرى. وقد تجلى هذا الفكر في صور متعددة يأتي من بينها علي بن داود الأرفادي، ويروم هذا البحث التوقف مع كتابه المسمى بـ»اجتماع الأمانة وعنصر الديانة»، الذي يعد بمثابة تتويج لمسيرة طويلة من التطور الفكري والمنهجي في التراث السرياني. ويمثل هذا الكتاب نموذجًا متميزًا للتفكير السرياني المنظم الذي يجمع بين العمق اللاهوتي والمنهجية الفلسفية، كما يعكس مستوى النضج الذي وصل إليه الفكر السرياني في تلك الفترة. وذلك من خلال الحديث عن المؤلف وموقعه الفكري في عصره وكتابه ومقارنته بغيره.

الكلمات المفتاحية: الأرفادي، اليعقوبية، التراث السرياني، اللاهوت.

Abstract:

Jacobite Syriac thought is one of the most significant branches of Eastern Christian thought, characterized by its theological depth and philosophical richness. It evolved over centuries in a diverse cultural environment, influenced by the ancient Greek heritage on the one hand, and interacting with Islamic thought on the other. This thought manifested in various forms, one of the most prominent being Ali ibn Dawud al-Arfadi. This research focuses on his book «Ijmā al-Amāna wa 'Un ur al-Dīn,» which represents the culmination of a long journey of intellectual and methodological development in Syriac heritage. This book is a distinctive model of organized Syriac thought that combines theological depth with philosophical methodology. It also reflects the level of maturity reached by Syriac thought at that time. This study will discuss the author, his intellectual position in his time, his book, and compare it with other works.

Keywords: Al-Arfadi, Jacobite, Syriac heritage, theology.

المقدمة:

يشكل الفكر السرياني اليعقوبي أحد أهم روافد الفكر المسيحي الشرقي، وقد تبلور في إطار الكنيسة السريانية الأرثوذكسية التي تنسب إلى يعقوب البرادعي (٥٠٠–٥٧٨م). يمتاز هذا الفكر بعمقه اللاهوتي وثرائه الفلسفي، وقد تطور عبر قرون عديدة في بيئة ثقافية متنوعة، متأثرًا بالتراث اليوناني القديم من جهة، ومتفاعلًا مع الفكر الإسلامي من جهة أخرى.

لقد لعب السريان دورًا محوريًّا في الحفاظ على التراث الفكري القديم من خلال حركة الترجمة النشطة التي قاموا بها، حيث نقلوا العديد من الأعمال الفلسفية والعلمية من اليونانية إلى السريانية، ومن ثم إلى العربية. وقد أسهم هذا الدور في إثراء فكرهم وتعميق رؤيتهم اللاهوتية والفلسفية. كما تميز الفكر السرياني بقدرته على المزج بين التقليد الكنسي الشرقي والمنهجية الفلسفية اليونانية، مما أنتج تراثًا فكريًّا فريدًا يجمع بين

الأصالة والتجديد. فضلًا عن علاقته بالفكر الإسلامي(١).

وفي سياق تطور هذا الفكر، برزت مدارس فكرية مهمة، وظهر علماء ومفكرون كبار أسهموا في بلورة الرؤية السريانية للقضايا اللاهوتية والفلسفية. وقد تناول هؤلاء المفكرون قضايا جوهرية في العقيدة المسيحية، مثل طبيعة المسيح، والثالوث المقدس، والعلاقة بين الإيمان والعقل، وغيرها من المسائل التي شغلت الفكر المسيحي عبر تاريخه.

ومع حلول القرن الحادي عشر الميلادي، شهد الفكر السرياني اليعقوبي نضجًا فكريًّا ملحوظًا، تجلى في ظهور أعمال فكرية مهمة، من أبرزها كتاب «اجتماع الأمانة وعنصر الديانة» لعلي بن داود الأرفادي، الذي يعد بمثابة تتويج لمسيرة طويلة من التطور الفكري والمنهجي في التراث السرياني. ويمثل هذا الكتاب نموذجًا متميزًا للتفكير السرياني المنظم الذي يجمع بين العمق اللاهوتي والمنهجية الفلسفية، كما يعكس مستوى النضج الذي وصل إليه الفكر السرياني في تلك الفترة. ولأهمية لهذا الموضوع مجموعة من النقاط التي تبرز أهميته وجدواه، أبرها:

أولاً: الأهمية التاريخية: يوثق البحث مرحلة مهمة من مراحل تطور الفكر المسيحي في الشرق. كما يسلط الضوء على دور المفكرين السريان في حفظ ونقل التراث اليوناني القديم. ويكشف عن طبيعة الحياة الفكرية والثقافية في المجتمعات المسيحية الشرقية خلال العصور الوسطى.

ثانياً: الأهمية العلمية: يمثل الفكر السرياني اليعقوبي أحد أهم روافد الفكر المسيحي الشرقي، ولا تزال هناك حاجة لدراسات معمقة لفهم تطوره وتأثيره. ويعد كتاب «اجتماع الأمانة وعنصر الديانة» من المصادر الأساسية التي لم تنل حظها الكافي من الدراسة والتحليل. ويكشف البحث عن التفاعل الثقافي والفكري بين المجتمعات المسيحية والإسلامية في القرن الحادي عشر الميلادي.

وتضمن هذا البحث على مقدمة وثالثة مباحث وخاتمة، تناول المبحث الأول: خصصته للحديث عن علي بن داود الأرفادي وموقعه الفكري في عصره. أما المبحث الثاني: خصصته للحديث عن علي بن داود الأرفادي وكتابه اجتماع الأمانة وعنصر الديانة. أما المبحث الثالث فضمنته الحديث عن كريستولوجيا كنيسة المشرق والأرفادي. ثم خاتمة اشتملت على أهم وأبرز النتائج.

المبحث الأول: علي بن داود الأرفادي وموقعه الفكري في عصره

(أ)– المؤلفات والعصر:

حتى نرى موقع مؤلفنا علي بن داود الأرفادي في عصره وسط أرباب التأليف المسكوني يحسن أن نقول إنه ابتداء من القرن التاسع نجد مؤلفات عديدة قد وضعت لإثبات اتفاق العقيدة المسيحية رغم اختلاف الفلسفات والألفاظ والمصطلحات، وهذه تعد واحدة من ميزات وخصائص الفكر العربي المسيحي(٢).

ومن بين هذه المؤلفات(٣):

١. مقالة لطيموثاوس الجاثوليق (٧٨٠–٨٢٣م).

٢. مقالة لنجم الدين في القرن التاسع ردا على باشوش الضرير.

٣. مقالة للقس أبي علي نظيف بن يمن الطبيب الملكي البغدادي (توفى عام ٩٩٠)(٤).

٤. مقالة للمطران ساويرس بن المقفع أسقف الأشمونين في صعيد مصر (توفي عام ١٠٠٠).

٥. مقالة لعلي بن الأرفادي، وهو من أرفاد بجوار حلب ومؤلف سرياني من القرن الحادي عشر. وهو شخصية هذا البحث.

٦. مقالة لأبي فرج عبدالله بن الطيب الطبيب، مدير البيمارستان العضدي في بغداد وأستاذ الطب والفلسفة الارسطوطالية وأكبر أطباء عصره ومن كبار فلاسفة زمانه، وأكبر مفسر للكتاب المقدس،

صاحب كتاب «فردوس النصرانية»، وأول فقيه مسيحي، صاحب كتاب «فقه النصرانية»، وسكرتير البطريرك. (توفي عام ١٠٤٣)(٥).

٧. مقالة ليحيى بن جرير التكريتي السرياني (توفي نحو عام ١٠٨٠). وهو تلميذ أبي علي عيسى بن زرعة (المتوفي سنة ١٠٠٨م)، تلميذ يحيى بن عَدِيّ(٦).

٨. مقالة مجهولة المؤلف من القرن الثاني عشر.

٩. مقالة لصفي الدولة أبو الفضائل بن العسال القبطي موضوعة سنة ١٢٣٦(٧).

١٠. مقالة لأخيه مؤتمن الدولة أبي اسحق ابن العسال (نحو سنة ١٢٦٠) في كتابه «مجموع أصول الدين ومسموع محصول اليقين»(٨).

(ب)– تعليق:

هذه هي المؤلفات المسكونية التي وُضعت حتى القرن الثالث عشر. وكان مؤلفوها كلهم يرددون الفكرة نفسها: إن المسيحيين متفقون في الايمان مختلفون في الالفاظ. يقول مؤلفنا علي بن الأرفادي في هذا السياق: «مثل النصارى كمثل ثلاثة أشخاص يصعدون جبلًا عاليًا. كل منهم يريد الوصول إلى القمة، وكل منهم يصف الجبل من وجهة نظره. فهو يصف الجبل، إلا انه لا يصف الا جزءًا أو ناحية منه. فالقمة هي المسيح. ونحن كلنا متجهون نحوه، ونفهم ناحية منه فقط، ولا يمكننا حصر مفهوم المسيح كله. ولكن إذا اعترفنا أن ما نراه وما نصفه ما هو إلا ناحية واحدة من المسيح، واعترفنا أن ما يقوله غيرنا صحيح، اتفقنا في الرأي رغم اختلاف ما نقوله عن المسيح»(٩).

يفهم مما سبق أن مؤلفنا الأرفادي كان له موطئ قد في المجال الفكري في عصره، حيث أدلى بآراء وسطر مؤلفات تفاعلت مع الوضع المسيحي في البلدان التي عاش فيها.

وما يريد الأرفادي أن يقول أن التنوع في التفسيرات أمر طبيعي: لا يوجد تفسير واحد صحيح للمسيح، بل هناك وجهات نظر متعددة. والأهم هو الاتجاه نحو المسيح: الهدف المشترك هو المسيح، وليس التفاصيل الدقيقة في فهمه. فضلا عن التسامح والاحترام: يجب أن نحترم آراء الآخرين ونقبل اختلافنا في التفسيرات. وغير خاف أن هذه المقولة تحمل قيمة كبيرة في الحوار الديني، فهي تدعو إلى الحوار البناء والاحترام المتبادل بين مختلف التيارات المسيحية. وفيما يلي جدول يفكك هذه المقولة:

كلمة	خلاصة	شرح
المسيح	القمة هي المسيح	المسيح هو الحقيقة المطلقة التي يسعى الجميع للوصول إليها
هدف	ونحن كلنا متجهون نحوه	جميع النصارى يتجهون نحو المسيح كهدف مشترك
فهم	ونفهم ناحية منه فقط	لا يمكن لأي شخص أن يفهم المسيح فهمًا كاملًا بل نفهم جوانب مختلفة منه
عمق	ولا يمكننا حصر مفهوم المسيح كله	المسيح أعمق وأشمل من أن يحصره أي وصف بشري
تسامح	واعترفنا أن ما يقوله غيرنا صحيح، اتفقنا في الرأي رغم اختلاف ما نقوله عن المسيح	إذا اعترف كل شخص بصحة فهم الآخرين، فسيتحقق التوافق والتفاهم رغم اختلاف التفسيرات
إدراك	ولكن إذا اعترفنا أن ما نراه وما نصفه ما هو إلا ناحية واحدة من المسيح	إذا أدرك كل شخص أن فهمه للمسيح محدود فسيقبل آراء الآخرين

المبحث الثاني: علي بن داود الأرفادي وكتابه اجتماع الأمانة وعنصر الديانة

في القرن الحادي عشر الميلادي، شهد الفكر السرياني اليعقوبي نقاط تحول ملحوظة وكتاب «اجتماع الأمانة وعنصر الديانة» للمفكر علي بن داود الأرفادي دال على ذلك؛ إذ يمثل هذا العمل حلقة مهمة

في سلسلة طويلة من التراث الفكري السرياني الذي امتد لقرون عديدة وأثرى الفكر المسيحي بشكل عام. ويمتاز الفكر السرياني اليعقوبي بخصوصيته الفريدة التي تجمع بين العمق اللاهوتي والبعد الفلسفي. وقد تطور هذا الفكر في بيئة ثقافية غنية، حيث تفاعل مع التيارات الفكرية المختلفة في المنطقة، بما فيها الفكر الإسلامي والفلسفة اليونانية. وكان للسريان دور كبير في حفظ وترجمة التراث اليوناني القديم، مما أثرى فكرهم وأعطاه بعداً فلسفياً عميقاً.

(أ)– كتاب الأرفادي:

ويعد كتاب الأرفادي «اجتماع الأمانة وعنصر الديانة» وثيقة تاريخية وفكرية مهمة تعكس مستوى النضج الذي وصل إليه الفكر السرياني في القرن الحادي عشر. حيث يتميز الكتاب بمنهجيته المنظمة في عرض القضايا اللاهوتية، ويقدم رؤية متكاملة للعقيدة المسيحية من منظور سرياني يعقوبي. كما يتناول الكتاب قضايا جوهرية في العقيدة المسيحية، مثل طبيعة المسيح والثالوث المقدس، ويناقشها بأسلوب عقلاني.

من الناحية التاريخية، يكتسب هذا الكتاب أهمية خاصة لأنه يوثق مرحلة مهمة من مراحل تطور الفكر السرياني. فهو يعكس كيف تعامل المفكرون السريان مع التحديات الفكرية والعقائدية في عصرهم، وكيف حاولوا تقديم إجابات عميقة ومقنعة للأسئلة الفلسفية واللاهوتية المطروحة آنذاك.

أما من حيث المضمون، فيتميز الكتاب بتنظيمه المنهجي للمعرفة الدينية والفلسفية. فهو لا يكتفي بعرض العقائد، بل يقدم براهين عقلية ونقلية لدعمها، مما يجعله مصدراً مهماً لفهم المنهجية الفكرية السريانية في تلك الفترة. كما يعكس الكتاب مستوى التفاعل الثقافي والفكري بين المجتمعات المختلفة في المنطقة، حيث يظهر تأثر المؤلف بالمنهجيات الفلسفية والكلامية السائدة في عصره.

ويمكن القول إن أهمية كتاب «اجتماع الأمانة وعنصر الديانة» تتجاوز كونه مجرد عمل لاهوتي أو فلسفي. فهو يمثل وثيقة تاريخية تعكس مستوى التطور الفكري والثقافي للمجتمع السرياني في تلك الفترة. كما أنه يقدم نموذجاً للحوار الفكري والثقافي بين مختلف المجتمعات والثقافات في العصر الوسيط.

تبرز أهمية دراسة هذا الكتاب وتحليله بشكل دقيق في فهم تاريخ الفكر المسيحي بشكل عام والفكر السرياني بشكل خاص. فهو يمثل حلقة مهمة في سلسلة التطور الفكري المسيحي، ويقدم رؤية فريدة للقضايا اللاهوتية والفلسفية من منظور سرياني يعقوبي. كما أن دراسته تساعد في فهم طبيعة التفاعل الثقافي والفكري بين المجتمعات المختلفة في العصور الوسطى.

(ب)– نشرات الكتاب:

أما عن نشرة الكتاب، فقد صدر عام ١٩٦٩م بتحقيق الأستاذ جيرار طروبو **Troupeau, Gérard**، ونشر في مجلة **Melto**، الصادرة عن جامعة الروح القدس (كسليك)، المجلد الخامس، تحت عنوان: «كتاب اجتماع الأمانة وعنصر الديانة وفخر الأرثذكسية المجيدة»(١٠).

وقد أعيد تحقيقه ونشره مؤخرًا بتحقيق الدكتور نيكولاى سيليزنيوف **Н. Н. Селезнев** عام ٢٠١٨م مع مقدمة باللغة الروسية منشورة في موسكو، ملحقة بالنصين السرياني (الكرشوني) والعربي للكتاب. والكتاب قد نسخه مار إليا مطران القدس(١١).

(ج)– نظرات في مطلعه:

قال الأرفادي في مطلعه: «إني لما نظرت إلى رونق النصرانية وجدته متلألئًا بحقيقة الإيمان بالله عزوجل ظاهرًا بواجب التعبد المستحق لخالق السموات والأرض وما عليهن متخليا بالأدب المحبوب في شريعة الهدى المفترضة من الخالق الغني الرحوم ذائعا في مشارق الأرض ومغاربها وأقاصيها وأدانيها ظاهرا مستفاضا بين الأمم والشعوب المفترقة في البلدان البعيدة الأقطار وكل أمة تفتخر منهم بما عندهم وتغتبط بما لديهم من

دين النصرانية مجتمعة على الإقرار بالإنجيل الصادق هو أساس الدين وفرع الإيمان ونور اليقين»(١٢).

في هذه المقولة، يرسم الأرفادي صورة إيجابية عن الدين المسيحي، مؤكداً على انتشاره الواسع وتأثيره العميق على الشعوب والأمم. فيشير إلى أنه قد تأمل في جمال الدين المسيحي وروعة تعاليمه. ومقارنة بما أورده سابقا، فيركز الأرفادي على الجانب الإيجابي للدين المسيحي وانتشاره الواسع، بينما في المقولتين السابقتين كان تركيزه على الخلافات اللاهوتية ووحدة الأساس بين الطوائف المسيحية.

غير أنه ومع ذلك بنى كتابه هذا على تقليل شقة الخلاف بين أهل دينه، وذلك قال في خواتيم كتابه: «قد توخيت في هذا الكتاب ما رجوت به من الله عز وجل في دفع الشحناء من بين أهل دين النصرانية وتقريب قلوب بعضهم من بعض وجعلتُ كتابي هذا لمن نظر فيه واعظا من القسوة والبغضة لأهل دينه وكاسبا محبة وجامعا ألفة أوجب الله اجتماعها بعضا مع بعض إذ كان أساس دين النصرانية المحبة فمن عدم المحبة والتواضع فقد خرج عن دين النصرانية وزال إيمانه»(١٣).

ففي هذه المقولة، يركز الأرفادي بشكل أساسي على الجانب العملي للدين المسيحي، وهو تطبيق مبادئ المحبة والتسامح في الحياة اليومية. بينما في المقولات السابقة كان التركيز على الجوانب النظرية والعقائدية.

(د)– التلاقح الثقافي:

ومما يسترعي الانتباه أن ثمة عبارات في كتاباته تشبه التعبيرات الإسلامية لدى علمائهم، مثل:«الله عز وجل»، وهو أمر طبيعي ومتوقع عمومًا لدى كثير من المؤلفين، ويعود إلى عدة أسباب:

١. التأثير المتبادل بين المفكرين الدينيين: لطالما تأثروا ببعضهم البعض، خاصة في المناطق التي شهدت تداخلًا ثقافياً وحضارياً. فقد تبادل أتباع الديانات المختلفة الأفكار والمعتقدات والمصطلحات، مما أدى إلى ظهور تشابهات في العبارات والتعبير(١٤).

٢. استخدام لغة مشتركة: غالبًا ما يستخدم أتباع الأديان المختلفة لغة واحدة للتعبير عن معتقداتهم، مما يؤدي إلى تشابه في بعض المصطلحات والعبارات، حتى لو كانت تعبر عن مفاهيم مختلفة.

٣. التركيز على القيم المشتركة: كثيرًا ما تركز الأديان على قيم مشتركة مثل المحبة والعدل والإيمان بالله، مما يؤدي إلى استخدام عبارات متشابهة للتعبير عن هذه القيم.

٤. الهدف من الدعوة: يهدف الدعاة إلى إيصال رسالتهم إلى أكبر عدد ممكن من الناس، ولذلك فهم يستخدمون لغة واضحة ومباشرة، مما قد يؤدي إلى تكرار بعض العبارات والمصطلحات.

أما في حالة علي بن الأرفادي، فإن تشابه بعض عباراته بالعبارات الإسلامية قد يرجع –فيما يبدو لي– إلى عدة عوامل:

١. البيئة الثقافية: عاش الأرفادي في بيئة ثقافية كانت فيها المسيحية والإسلام متجاورتان، مما أدى إلى تأثره بالثقافة الإسلامية.

٢. الهدف من الكتابة: كان الأرفادي يسعى إلى تحقيق الوحدة والتآلف بين المسيحيين، ولذلك فقد استخدم لغة قريبة من لغة المسلمين لكي يصل إلى قلوبهم.

٣. التأثير اللغوي: قد يكون الأرفادي قد تأثر باللغة العربية الفصحى التي كانت لغة العلم والثقافة في عصره.

مع مراعاة أن هذا التلاقح الثقافي لا يعني بالضرورة اقتباسًا حرفيًا، بل هو تبادل للأفكار والمعاني والتعبير عنها بلغة مشتركة. وهو أمر طبيعي وصحّي –إن جاز التعبير–، ويمكن أن يؤدي إلى فهم أفضل بين الأديان والثقافات المختلفة.

(هـ)– المخاطبون بالكتاب:

لتحديد من يتوجه إليه كتاب علي بن الأرفادي، علينا أن ننظر إلى عدة عوامل:

الموضوع: الكتاب يتناول قضايا دينية تتعلق بالوحدة والتسامح بين المسيحيين، وبالتالي فهو موجه بشكل أساسي إلى المسيحيين بشكل عام، وخاصة أولئك الذين يبحثون عن فهم أعمق لدينهم وتوحيد صفوفهم.

اللغة والأسلوب: اللغة المستخدمة في الكتاب هي اللغة السريانية مع العربية، وهي اللغات التي كانت شائعة بين المسيحيين في تلك الفترة. والأسلوب المستخدم هو أسلوب علمي وديني، مما يشير إلى أن الكتاب موجه إلى جمهور مثقف ومتدين.

الأهداف: كما ذكرنا سابقًا، الهدف الرئيسي من الكتاب هو تحقيق الوحدة والتسامح بين المسيحيين، وبالتالي فهو موجه إلى القادة الدينيين والعلماء، وكذلك إلى عامة المؤمنين الذين يرغبون في تحقيق الوحدة بين صفوفهم.

ومن ثَمَّ، يمكن القول إن كتاب علي بن الأرفادي موجه بشكل أساسي إلى كل من:

–المسيحيين من مختلف الطوائف والمذاهب.

–القادة الدينيين والعلماء المسيحيين.

–جميع الذين يبحثون عن فهم أعمق للدين المسيحي ويرغبون في تحقيق الوحدة والتسامح بين المسيحيين.

المبحث الثالث: كريستولوجيا كنيسة المشرق والأرفادي

(أ)– الكريستولوجيا Christology كنيسة المشرق

تعد الكريستولوجيا Christology [أي الكلام اللاهوتي عن المسيح وطبيعته](١٥) من أربط المباحث المرتبطة بالإيمان بالمسيح «أَنَا هُوَ الأَلِفُ وَالْيَاءُ، الْبِدَايَةُ وَالنِّهَايَةُ»(١٦). وعندما يقال (المسيح) فيقصد به شخصه الكامل الذي فيه تتحقق وحدة الجنس البشري والخلاص(١٧).

وكريستولوجيا كنيسة المشرق كتابيَّة معبرة ومفهومة، وليس فيها مغالاة، وتشجع المؤمن على تحقيقها، وبإمكانها أن تغدو معاصرة إذا اجري عليها بعض ترتيبات، وادخل إليها بعض مصطلحات حديثة ملائمة. إنها كرستولوجيا الأناجيل الإزائية (متى ومرقس ولوقا) ذات الاتجاه التصاعدي: من الإنسان إلى الله على عكس الاتجاه الإسكندري التنازلي من الإله إلى الإنسان، نسبة إلى الكلمة logos كما جاء في مقدمة إنجيل يوحنا. هذه الكريستولوجيا تبناها مجمعا بيث لافاط (٤٨٤) وساليق– قطيسفون (٤٨٦). هذه الكنيسة وجدت قبل نسطوريوس بزمن طويل، ولم تبنِ عقيدتها على كتاباته(١٨).

كنيسة المشرق (ونسطوريوس) تؤمن بشخص واحد في المسيح، هو ابن الله الوحيد، ولا تؤمن بشخصين منفصلين. وإسناد مذهب ازدواجية الشخص إلى كنيسة الشرق خاطئ ومضحك! فذكر «طبيعتين» أو «اقنومين» إلهية وإنسانية في المسيح مقرون دوما بذكر "الشخص الواحد– يسوع المسيح–، وهو نفسه موضوع العبادة والسجود. اذاً مشكلة الكريستولوجية المشرقية تكمن في اللغة والمصطلحات، التي ترجمت كمرادفات للمصطلحات اليونانية واللاتينية. وهذا خطأ مبين!

ينظر الآباء المشرقيون الى المسيح، ابن الله، نظرة خلاصية– التدبير–، نابعة من واقع خبرتهم الشخصية وليس من نظرة فلسفية ما ورائية. هذا الخلاص أساسي وهو تصميم الهيٌّ. ونقطة الانطلاق والركز فيه هو المسيح، إلى حدٍ سمّوه شخص التدبير كنيسة المشرق ليست نسطورية/البطريرك لويس روفائيل ساكو (باباي الكبير).

قال افراهاط الحكيم: «نسجد للمسيح لأننا نؤمن بان الله حاضر فيه». والتجسد لا يعني تقمصاً، «انما يصير الله إنساناً ليرتقي به اليه»(١٩). ومار افرام ٣٠٦–٣٧٣: شارحًا نص الرسالة الى فيليبي (١٥/١)

يقول: «إنه صورة حقيقية للآب، ومساو له ومولود منه، وليس له من إرادة سوى إرادة الآب» (الكنيسة ٩/٢٧) « ولبس جسداً ليضمنا إلى ما هو له « (الميلاد ١٢/٢١).

واللاهوتي باباي الكبير (٥٥٠–٦٢٨): لقد قدم باباي الكبير رسميا كريستولوجيا كنيسة المشرق في كتابه (الاتحاد)(٢٠). يقول: «ثمة طبيعتان إلهية وإنسانية متحدتان في المسيح. ولذلك لا يوجد سوى ابن واحد وشخص واحد في الاتحاد.. كلمة الله متساو مع الآب، وبسبب الاتحاد تسمى مريم الطوباوية أم الله وأم الإنسان، أم الإنسان وفقًا لطبيعة خاصة بها، وأم الله بسبب الاتحاد الذي كان لديه مع إنسانيته... ولأن اسم «المسيح» يشير إلى طبيعتيه في حالة الاتحاد [أي الله كلمة] بالوهيته وإنسانيته، والكتاب المقدس يقول أن مريم الطوباوية ولدت «المسيح»، وليس ابن الله بطريقة متفرقة، وهو ليس مجرد إنسان مفصول عن الله الكلمة»(٢١).

وفي رأي البعض أن الخلاف هو في سوء فهم تبادل الصفات **idiomatum Communicatio** أي تعيين كل فعل لأي طبيعة يتصل: أن يقال ان «الله تألم وصلب» فالصلب والألم لا يتماشيان تعبيريا الا مع الطبيعة البشرية فقط، وصعوبة تسمية **Théotokos** العذراء (والدة الله) لأنها والدة الإنسان يسوع المسيح ابن الله(٢٢).

(ب)– شهادة لاهوتيين سريانيين أرثوذكسيين:

وابن العبري اللاهوتي الكبير، مفريان كنيسة السريان الأرثوذكس في القرن الثالث عشر: «ان النساطرة، واليعاقبة والخلقدونيين يتقاتلون فقط لتسمية «الاتحاد» ولكن تعليمهم عن الثالوث والحفاظ على الطبيعتين للمسيح من دون خلط واحد»(٢٣). ثمة نحو عشرين مقالة تقول الشيء نفسه(٢٤).

أما مؤلفنا علي بن داود الأرفادي فقد قال: «فلما وجدت هذا الاختلاف حول اتحاد لاهوت المسيح سيدنا بناسوته، الذي فرق بينهم النساطرة واليعاقبة والملكية وهو الذي ميز بعضهم من بعض... نظرت في ذلك بحقيقة النظر دون الهوى والعصبية. فلم أجد في ذلك فرقًا بينهم في حال من الأحوال. وذلك أنهم اجتمعوا على تصحيح لاهوت المسيح سيدنا، وأقروا باتحاده وانه لا انفصال بين اللاهوت والناسوت(٢٥).

في هذه المقولة، يتعمق الأرفادي في قضية أساسية في اللاهوت المسيحي، وهي اتحاد لاهوت المسيح بناسوته. حيث يشير إلى الخلافات اللاهوتية الكبيرة بين النساطرة واليعاقبة والملكية حول طبيعة المسيح وعلاقته بالله والإنسان. وأن هذه الاختلافات اللاهوتية هي التي حددت هوية كل طائفة وفرقت بينها.

ويدعو الأرفادي إلى النظر الموضوعي والعقلاني في هذه المسألة، بعيدًا عن التحيزات الطائفية. وبعد دراسة عميقة، يخلص الأرفادي إلى أن هذه الطوائف الثلاثة تتفق في الأساس على الاعتقاد بـ «تصحيح لاهوت المسيح».خاصة أنهم جميعًا يؤمنون بأن المسيح هو الله الحقيقي، وأن لاهوته كامل وغير منقوص.

ويمكننا أن نستخرج من هذه النقولة على وجازتها ما يلي:

م	خلاصة	شرح
١	وحدة الأساس	رغم الاختلافات الطائفية، فإن جميع المسيحيين يؤمنون بأساس واحد هو ألوهية المسيح واتحاد لاهوته بناسوته
٢	التنوع في التفسيرات	الاختلافات بين الطوائف تكمن في كيفية فهمهم لهذا الاتحاد وكيفية التعبير عنه وليس في الاعتقاد الأساسي به
٣	ضرورة الحوار	يدعو الأرفادي إلى الحوار البناء بين الطوائف المسيحية للتركيز على نقاط الاتفاق وتجاوز الخلافات الثانوية

وإذا ما قارنا هذه الآراء بما ورد على لسان الأرفادي في المبحث الأول من هذا البحث نجد أن الأرفادي يشدد هنا على وحدة الأساس بين مختلف الطوائف المسيحية، رغم تنوع التفسيرات. ففي المقولة الأولى،

كان التركيز على تنوع التفسيرات، بينما في هذه المقولة، يركز على وحدة الاعتقاد الأساسي.
فالمسألة برمتها هي تكمن في سعي الأرفادي إلى تحقيق التوافق والتفاهم بين مختلف التيارات المسيحية، وذلك من خلال التأكيد على الجوانب المشتركة بينها وتقليل التركيز على الخلافات.

خاتمة بأهم النتائج

حاولت من خلال هذه الورقة تسليط الضوء على أحد النصوص السريانية المهمة في القرن الحادي عشر بغية إثراء المكتبة العربية بدراسة متخصصة في مجال الفكر السرياني، بهدف فتح آفاق جديدة للبحث في مجال الدراسات السريانية والمسيحية الشرقية والمساهمة في فهم أفضل للتفاعل الثقافي والفكري بين مختلف المجتمعات في العصور الوسطى. ومن ثم، فقد توصلت إلى مجموعة من النتائج:

١. دراسة الفكر السرياني اليعقوبي في القرن الحادي عشر، وخاصة كتاب «اجتماع الأمانة وعنصر الديانة»، تساهم في فهم أعمق للتراث الفكري الديني، وتسليط الضوء على جوانب مهمة من تاريخ المسيحية.

٢. يمثل كتاب «اجتماع الأمانة وعنصر الديانة» من الناحية التاريخية حلقة مهمة في سلسلة التطور الفكري المسيحي، ويقدم رؤية فريدة للقضايا اللاهوتية والفلسفية من منظور سرياني يعقوبي.

٣. كان سعي الأرفادي الحثيث هو رأب الصدع بين الطوائف والفرق المسيحية وتجفيف منابع الخلاف بينها.

٤. مقولات الأرفادي في كتابه كاشفة عن دعوته، وهي الدعوة إلى الوحدة والتآلف بين المسيحيين.

٥. ثمة تشابهات في المصطلحات والتعبيرات بين كتابات الأرفادي –وغيره من المؤلفين– والكتابات الإسلامية ويعود ذلك لأسباب متعددة أبرزها التجاوز بين أهل الأديان ووحدة اللغة في مرحلة من المراحل الزمنية.

الهوامش:

(١) لا يستطيع أيُّ منصِف أن يتحدث عن تاريخ الحضارات دون أن يذكر دور السريان ولغتهم التي لُقِّبَتْ بـ «أميرة الثقافة وأم الحضارة»، فكانوا بمثابة القنطرة التي عبرت عليها العلوم والمعارف لتصل إلى العرب وأوروبا؛ فترجموا من اليونانية إلى السريانية، ومنها إلى العربية، ثم إلى اللاتينية، وأخيرًا للغات الأوروبية الحديثة. ولم يكن السريان مجرَّد نَقَلة، بل كانوا مبدعين أيضًا؛ فقد أضافوا خبرتَهم ومعارفهم، فطوَّروا وجدَّدوا. وكتب السريانُ في عدة موضوعات منها: الفلسفة، والمنطق، والموسيقى، والأدب، والهندسة، والزراعة، والتجارة، والطبيعة، والرياضيَّات، والفلك، والفيزياء، والطب. وكان منهم مَن يشار إليه بالبنَانِ، مثل «حنين بن إسحاق العبادي» الذي ترجم تسعة وثلاثين مخطوطًا من اليونانيَّة إلى العربيَّة، وترجم خمسة وتسعين مخطوطًا من اليونانيَّة إلى السريانيَّة. لقد كان السريان حلقة في مضمار الحضارة العالمية؛ انظر للمزيد: فيليب دي طرازي، عصر السريان الذهبي، طبعة مؤسسة هنداوي– القاهرة، ٢٠٢٢م، ص٣١.

(٢) بالإضافة إلى كثرة المؤلفات المسكونية، فمن خصائص التراث العربي المسيحي أيضا أنه يشتمل على فكر لاهوتي وُضع في بيئة غير مسيحية، وأيضا شمولية هذا التراث وسعته. انظر للمزيد: المعهد الإكليريكي، مقال: التراث العربي المسيحي القديم، https://slpj.org/%D٨%AE%D٨%B٥%A٧%D٨%A٦%D٨%B٥-/، بتاريخ: ٢٠٢٥/١/١١م.

(٣) سهيل قاشا، تاريخ التراث العربي المسيحي، منشورات الرسل، ٢٠٠٣م، ص٢٩.

(٤) سهيل قاشا، مسيحو العراق، دار الوراق للنشر، ٢٠٠٩م، ص١٢٢.

(٥) انظر: وثائق عصرية في سبيل الحوار بين المسيحيين والمسلمين، منشورات المكتبة البولسية، ١٩٩٢م، ص١٣١.

(٦) انظر: يوسف القس عبد الأحد البحزاني، جولة مع مخطوطات سريانية مبعثرة، دار ماردين للنشر، ١٩٩٤م، ص٣٠.

(٧) انظر: مقال: حسما للجدل حول علاقة المسيحيين العرب باللغة العربية، بتاريخ ١ يناير ٢٠٢٣م، تاريخ الاقتباس: ٢٠٢٥/١/١٠م، اللينك: http://coptcatholic.net/p٧٠٦٣/

(٨) انظر: ابن العسال، مجموع أصول الدين ومسموع محصول اليقين (مجلدان)، المركز الفرنسيسكاني للدراسات الشرقية المسيحية ومطبعة الآباء الفرنسيسيين، ١٩٩٨م.

(٩) انظر: مقالات للاب سمير خليل اليسوعي مجلة صديق الكاهن ١٩٨٣ومجلة المسرة ٦٧، ١٩٨١م، ص١٦٩–١٧٣.

(١٠) انظر: الأرفادي، كتاب اجتماع الأمانة تحقيق: جيرار طروبو، مجلة (Melto)، جامعة الروح القدس (كسليك)، المجلد الخامس، سنة ١٩٦٩م.

(١١) انظر: الأرفادي، كتاب اجتماع الأمانة وعنصر الديانة وفخر الأرثذكسية المجيدة، تحقيق: الدكتور نيكولاى سيليزنيوف، دار غرفين للطباعة والنشر– موسكو، ٢٠١٨م.

(١٢) انظر: الأرفادي، كتاب اجتماع الأمانة وعنصر الديانة وفخر الأرثذكسية المجيدة، ص٢٩.

(١٣) انظر: الأرفادي، كتاب اجتماع الأمانة وعنصر الديانة وفخر الأرثذكسية المجيدة، ص٤٦.

(١٤) انظر: فيليب دي طرازي، عصر السريان الذهبي، ص٣١ وما بعدها.

(١٥) للمزيد بشأن ذلك انظر كتاب جيرالد أوكولينز:

Gerald O›Collins, Christology: A Biblical, Historical, and Systematic Study of Jesus, (Oxford : Oxford University Press , 1995).

(١٦) رؤيا: ٢٢/١٣.

(١٧) يشرح القديس أثناسيوس الرسولي هذه الحقيقة الإيمانية في كتابه ضد الآريوسيين: «وهكذا أيضًا قد خُلِق جنس البشر على صورة الله. لأنه وإن كان آدم وحده قد خُلِقَ من التراب، إلا أنه فيه كانت توجد كل ذرية الجنس البشري»؛ انظر: القديس أثناسيوس الرسولي – ضد الآريوسيين المقالة الثانية، الطبعة الأولى ٢٠١٥. المركز الأرثوذكسي للدراسات الآبائية. فصل١٩، فقرة ٤٨. ص٢٣٠.

(١٨) انظر: بحث: كنيسة المشرق ليست نسطورية، البطريرك لويس روفائيل ساكو، بحث القاه غبطته في مؤتمر حول كريستولوجيا الكنائس الشرقية، وذلك في جامعة سانت جورج فرانكفورت–المانيا في ٢٢ أيلول ٢٠١٧، https:// topic–kaldany.ahlamontada.com/t٩٧٥٧.

(١٩) انظر للمزيد: افراهاط الحكيم الفارسى، المقالات، قدم لها ونقلها إلى العربية: الخوري بولس الفغالي، دار المشرق بيروت، الطبعة الثانية ٢٠٠٧م.

(٢٠) Babai the Great, Liber de Unione, ed. Vaschalde, A., CSCO ٧٩/٨٠, Louvain ١٩١٥.

(٢١) ibid. pp. ١٠٥, ٢٦٤–٢٦٥.

(٢٢) انظر: بحث: كنيسة المشرق ليست نسطورية، البطريرك لويس روفائيل ساكو، بحث القاه غبطته في مؤتمر حول كريستولوجيا الكنائس الشرقية، وذلك في جامعة سانت جورج فرانكفورت–المانيا في ٢٢ أيلول ٢٠١٧، https:// kaldany.ahlamontada.com/t9757–topic.

(٢٣) Quoted by François Nau in the introduction of Liber Heraclidis, p. XXIII.

(٢٤) Samir Khalil, «Introduction to the Old Christian Arab Heritage», Massara 67 (March 1981), Nos. 663–664, 178–179.

(٢٥) Troupeau, Gérard, Le livre de l'unanimité de la foi de Alī ibn Dāwud al–Arfādī, Melto 5 (1969), p. 211; Ammar Al Basri, Apologie et Contro–verses, ed. Michel Hayek, Beyrouth Dar al–Machriq, 1977, pp. 179–180.

قائمة المراجع:

المراجع العربية:

١. ابن العسال، مجموع أصول الدين ومسموع محصول اليقين (مجلدان)، المركز الفرنسيسكاني للدراسات الشرقية المسيحية ومطبعة الآباء الفرنسيسيين، ١٩٩٨م.

٢. الأرفادي، كتاب اجتماع الأمانة تحقيق: جيرار طروبو، مجلة (Melto)، جامعة الروح القدس (كسليك)، المجلد الخامس، سنة ١٩٦٩م.

٣. الأرفادي، كتاب اجتماع الأمانة وعنصر الديانة وفخر الأرثذكسية المجيدة، تحقيق: الدكتور نيكولاى سيليزنيوف، دار غرفين للطباعة والنشر– موسكو، ٢٠١٨م.

٤. افراهاط الحكيم الفارسي، المقالات، قدم لها ونقلها إلى العربية: الخوري بولس الفغالي، دار المشرق بيروت، الطبعة الثانية ٢٠٠٧م.

٥. حسما للجدل حول علاقة المسيحيين العرب باللغة العربية، بتاريخ ١ يناير ٢٠٢٣م، تاريخ الاقتباس: ٢٠٢٥/١/١٠م، اللينك: http://coptcatholic.net/p٧٠٦٣/

٦. سهيل قاشا، تاريخ التراث العربي المسيحي، منشورات الرسل، ٢٠٠٣م.

٧. سهيل قاشا، مسيحو العراق، دار الوراق للنشر، ٢٠٠٩م.

٨. فيليب دي طرازي، عصر السريان الذهبي، طبعة مؤسسة هنداوي– القاهرة، ٢٠٢٢م.

٩. القديس أثناسيوس الرسولي – ضد الآريوسيين المقالة الثانية، الطبعة الأولى ٢٠١٥. المركز الأرثوذكسي للدراسات الآبائية.

١٠. كنيسة المشرق ليست نسطورية، البطريرك لويس روفائيل ساكو، بحث القاه غبطته في مؤتمر حول كريستولوجيا الكنائس الشرقية، وذلك في جامعة سانت جورج فرانكفورت–المانيا في ٢٢ أيلول ٢٠١٧، https://kaldany.topic-ahlamontada.com/t٩٧٥٧

١١. المعهد الإكليريكي، مقال: التراث العربي المسيحي القديم، https://slpj.org/%D٨%D٥%AE%D٨%B٥-%D٨%A٦%D٨%A٧%٨/ بتاريخ: ٢٠٢٥/١/١١م.

١٢. مقالات للاب سمير خليل اليسوعي مجلة صديق الكاهن ١٩٨٣ومجلة المسرة ٦٧، ١٩٨١م.

١٣. وثائق عصرية في سبيل الحوار بين المسيحيين والمسلمين، منشورات المكتبة البولسية، ١٩٩٢م.

١٤. يوسف القس عبد الأحد البحزاني، جولة مع مخطوطات سريانية مبعثرة، دار ماردين للنشر، ١٩٩٤م.

المراجع الأجنبية:

1. Ammar Al Basri, Apologie et Controverses, ed. Michel Hayek, Beyrouth Dar al-Machriq, 1977.

2. Babai the Great, Liber de Unione, ed. Vaschalde, A., CSCO 79/80, Louvain 1915.

3. Gerald O›Collins, Christology: A Biblical, Historical, and Systematic Study of Jesus, (Oxford: Oxford University Press, 1995).

4. Quoted by François Nau in the introduction of Liber Heraclidis, p. XXIII.

5. Samir Khalil, «Introduction to the Old Christian Arab Heritage», Massara 67 (March 1981), Nos. 663–664, 178–179.

6. Troupeau, Gérard, Le livre de l'unanimité de la foi de Alī ibn Dāwud al-Arfādī, Melto 5 (1969).